التعليم الديني في ليبيا: من الكتاتيب والزوايا إلى التحولات الحديثة

د. عبد الرحمن حسين قدوع

كلية العلوم الشرعية والإفتاء

المقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه، وآله وصحبه ومن اتبع هداه.

يُعد التعليم الديني أحد الركائز الأساسية في بناء الهوية الثقافية والحضارية للأمم، وهو في السياق الليبي ليس مجرد منظومة معرفية لتلقين الأحكام الشرعية، بل هو منظومة تربوية متكاملة، أسهمت عبر قرون في تشكيل الوعي الجمعي، وصيانة القيم، وتثبيت المرجعية الدينية الوسطية التي تميز بها المجتمع الليبي.

نشأ التعليم الديني في ليبيا في أحضان الكتاتيب والزوايا والمساجد، وتطوّر تدريجيًا ليواكب التحولات السياسية والاجتماعية، دون أن يفقد جوهره الروحي والتربوي.

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه ليبيا، من اضطرابات فكرية، وتدخلات خارجية، ومحاولات لزعزعة المرجعية الدينية، تبرز أهمية التعليم الديني بوصفه عنصرًا حاسمًا في تعزيز الأمن القومي، ليس فقط من خلال تحصين الفرد ضد الغلو والانحراف، بل يتعدّاه إلى بناء جيل واعٍ متزن، قادر على التمييز بين الأصالة والانتحال، وبين الوسطية والتطرف؛ فالتعليم الديني هو خط الدفاع الأول ضد التيارات الفكرية الدخيلة، وهو الحاضن الطبيعي للهوية الوطنية، والضامن لاستقرار المجتمع في وجه الفوضى الفكرية.

يسعى هذا البحث إلى تتبع مراحل التعليم الديني في ليبيا، من الكتاتيب والزوايا إلى التحولات الحديثة، مستعرضًا بعض الأعلام والمؤسسات والمناهج والتحديات؛ مبرزًا الدور الجهادي والاجتماعي الذي اضطلعت به هذه المنظومة عبر التاريخ، وصولًا إلى الجهود المعاصرة التي تبذلها المؤسسات الدينية –الآن– في سبيل إعادة الاعتبار لهذا التعليم، وتحصين المجتمع الليبي من الانحرافات الفكرية، وتعزيز الأمن الروحي والثقافي للبلاد.

المبحث الأول: الكتاتيب القرآنية في ليبيا: النشأة والوظيفة والرموز

منذ أن دخل الإسلام ليبيا في القرن الأول الهجري، بدأت الكتاتيب تظهر لتمثل أولى المؤسسات التعليمية الدينية، حيث كانت تُعنى بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وقد انتشرت في المدن والقرى، وأصبحت جزءًا من النسيج الاجتماعي والديني للبلاد، وكانت تُقام في المساجد أو الزوايا أو حتى في بيوت المشايخ، ويجلس فيها الشيخ الفقيه محاطًا بالأطفال، يلقنهم الحروف والكلمات، ثم الآيات والسور، مستخدمًا ألواحًا خشبية تُكتب عليها الآيات بالحبر، ثم تُغسل بالماء بعد الحفظ.[1]

عُرفت الكتاتيب في أغلب المدن، فمثلا في طرابلس "كتاب سيدي حمودة"، وفي بنغازي "كُتَّاب سيدي خريبيش"، وفي سبها "كتاب الشيخ المدني"، وفي زليتن "كتاب الشيخ عبد السلام الأسمر"، وكانت هذه الكتاتيب تُدار من قبل مشايخ عُرفوا بالورع والعلم، كالشيخ أحمد زروق، والشيخ الأسمر، والشيخ محمد المدني، والشيخ محمد الصفراني، الذين تركوا بصمات واضحة في الذاكرة التعليمية الليبية.[2]

كان التعليم في الكتاتيب مجانيًا، ويُموّل غالبًا من الأوقاف أو تبرعات الأهالي، ويُمنح الطالب بعد إتمام حفظ القرآن شهادة شفهية تُعرف بـ "الإجازة"، تؤهله للانتقال إلى مراحل تعليمية أعلى أو للانخراط في الحياة العملية إمامًا أو مؤذنًا أو معلمًا.[3]

---

[1] أحمد مصباح اسحيم، "حياة الكتاتيب وأدبيات التعليم الديني في ليبيا"، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية، العدد 2، 2017، صـ 331.

2 الطاهر الزاوي، "معجم أعلام ليبيا"، دار الفرجاني، 1974، صـ 45–47.

3 محمد عمر بشينة– عادل عمر كريم، "الزوايا الدينة في ليبيا: نشأتها وتطورها"، صـ 74.

لم تكن الكتاتيب مقتصرة على حفظ القرآن فقط، بل كانت تُدرّس أيضًا مبادئ الفقه، والسيرة النبوية، والأذكار، والأخلاق الإسلامية، وكان الشيخ يحرص على تهذيب سلوك الطالب، وتربيته على احترام الكبير، وعلى الصدق، والأمانة؛ مما جعل الكتاتيب مؤسسات تربوية متكاملة تُخرّج أجيالًا من المتعلمين الذين تولوا فيما بعد مناصب دينية وإدارية في الدولة، مثل القضاء، والإفتاء، والخطابة، والتعليم.[4]

أسهمت الكتاتيب في الحفاظ على الهوية الإسلامية في ليبيا، خاصة في فترة الخلافة العثمانية وفي عهد الاحتلال الإيطالي، حيث كانت الكتاتيب ملاذًا للمجتمع الليبي في مواجهة محاولات التغريب والطمس الثقافي، وكانت تُدرّس باللغة العربية، وتُحافظ على الموروث الديني، وتُرسّخ قيم المقاومة والصمود.[5]

ومن أبرز الأمثلة على دور الكتاتيب في إعداد المجاهدين، أن عمر المختار تلقى تعليمه الأول في كتاب زاوية الجغبوب، حيث حفظ القرآن وتعلم الفقه، قبل أن يتحول إلى رمز للجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، وقد كان حفظ القرآن شرطًا أساسيًا للالتحاق بصفوف المجاهدين،[6] كما أن الكتاتيب كانت تُدرّس المتون الفقهية، مثل "مختصر خليل"، و"الرسالة"، والمتون اللغوية كـ

4 وهبي البوري، "مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين"، منشورات مجلس الثقافة، 2006، صـ 61.

5 نيكولاي بروشين، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، "تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م"، مركز جهاد الليبيين، 2005، صـ 112.

6 مصطفى سعد الهاين، "أثر العامل الديني في الجهاد الليبي"، مركز جهاد الليبيين، 1980، صـ 27.

"الآجرومية"، والسيرة النبوية كـ "الشفا"، وكان الطالب يحفظ هذه المتون عن ظهر قلب، ثم يشرحها له الشيخ، مما يؤهله لفهم الفقه المالكي، الذي كان المذهب السائد في ليبيا.[7]

ارتبطت الكتاتيب بالزوايا والمساجد، مما منحها بعدًا روحيًا واجتماعيًا عميقًا، وكان من الشائع أن يُصبح خريج الكتاب إمامًا في مسجد، أو خطيبًا، أو قاضيًا شرعيًا، أو مدرسًا في زاوية؛ مما يدل على أن الكتاتيب كانت تُخرّج نخبًا دينية واجتماعية مؤثرة.[8]

ومن الأمثلة البارزة على ذلك: الشيخ محمد بن علي السنوسي، مؤسس الحركة السنوسية، الذي تلقى تعليمه الأول في الكتاتيب، ثم انتقل إلى الزوايا، قبل أن يُؤسس شبكة تعليمية دينية واسعة امتدت من الجغبوب إلى الكفرة، ودرنة، وواحات فزان؛ بل امتدّت إلى خارج البلاد في العمق الإفريقي، وقد اعتمد في منهجه على الجمع بين التعليم القرآني والتربية الروحية، مما جعل الكتاتيب السنوسية مؤسسات تعليمية وجهادية في آن واحد.[9]

وإذا ما تأملنا في سيرة المجاهد الشيخ الفضيل بو عمر رأينا أنه كان فقيهًا مفتيًا؛ فقد كان من ضمن العلماء الذين أصدروا فتوى تنصّ على إمكانية هجرة المجاهدين وحاضنتهم –في حال لم يستطيعوا الانتصار على العدو مع بذل الجهد الممكن– معلّلًا ذلك بأن هذا خيرٌ من الاستسلام للعدو![10]

---

7 المبروك صالح– عبد الحميد شعيب، "جهود علماء معهد محمد بن علي السنوسي الديني بزاوية الجغبوب في خدمة العلوم الشرعية، (1855 – 1926 م)"، مجلة البحوث الأكاديمية "عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة"، صـ 44.

8 أحمد مصباح اسحيم، "حياة الكتاتيب وأدبيات التعليم الديني في ليبيا"، صـ 340.

9 محمد عياد صالح، "الدور التربوي لزوايا الحركة السنوسية في ليبيا من سنة 1843م حتى 1969م"، صـ 557.

[10] مصطفى سعد الهاين، "موسوعة روايات الجهاد"، جـ 13، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1989م، "المجاهد إبراهيم عيسى العوامي"، صـ 40.

لم تكن النساء بمعزل عن هذه القلاع العلمية والسلوكية؛ فقد كانت الكتاتيب في بعض المناطق تُدار من قبل نساء فقيهات، خاصة في الواحات الجنوبية، حيث كانت "الفقيهة" تُدرّس البنات القرآن ومبادئ الدين، مما يُظهر أن التعليم الديني لم يكن حكرًا على الذكور؛ بل شمل الإناث أيضًا، في صورة تعليمية تقليدية لكنها فعالة.[11]

لم تكن هذه الكتاتيب مجرد قلاع تعليمية فحسب؛ بل كانت تُسهم أيضًا في تنظيم الحياة الاجتماعية، حيث كان الطلاب يُشاركون في المناسبات الدينية، مثل المولد النبوي، وليلة النصف من شعبان، وكانوا يُنشدون الأناشيد الدينية، ويُشاركون في حلقات الذكر، مما جعل الكتاب مركزًا للثقافة الدينية، كما أُنشئت بعض الكتاتيب داخل الزوايا السنوسية، مثل كتاب زاوية الجغبوب، وزاوية الكفرة، وزاوية عين مارة، وكانت تُدرّس فيها العلوم الشرعية، ويُربّى فيها النشء على الجهاد، وكان الطالب يُدرّب على الرماية والفروسية، إلى جانب حفظ القرآن الكريم؛ مما يُظهر أن الكتاتيب كانت جزءًا من منظومة إعداد المجاهدين[12].

ولا أدلّ على ذلك من قول السيد أحمد الشريف السنوسي –وهو يوصي الأتباع والتلاميذ في الزوايا السنوسية–: "واعلموا أنا أمرناكم بالاستعداد، والمواظبة على الجهاد، ومدافعة العدو عن البلاد، عملًا بهدي خير العباد، وبما أمر به وأوجبه على العباد".[13]

11 محمد بشير سويسي، التعليم الديني (التعليم الأهلي) خلال الفترة 1835– 1950م، أعمال الندوة العلمية الثامنة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005م، صـ 586.

12 أبو بكر سالم الشيباني، الزوايا السنوسية في فزان ودورها الدعوي والاجتماعي والاقتصادي والجهادي"، مجلة القرطاس، العدد 22، مارس 2023م، صـ 143.

13 السيد أحمد الشريف السنوسي، "بغية المساعد في أحكام المجاهد"، جريدة الشعب، القاهرة، 1332هـ، صـ 40.

المبحث الثاني: الزوايا والمساجد: البناء المعرفي والتكوين الروحي

لم تكن الزوايا والمساجد في ليبيا مجرد أماكن للعبادة، بل كانت مؤسسات تعليمية متكاملة، تجمع بين التهذيب الروحي والتعليم الشرعي، وقد لعبت دورًا محوريًا في نشر العلوم الإسلامية، خاصة في المناطق الريفية والنائية التي لم تصلها المدارس النظامية، وقد تميزت الزوايا بطابعها التربوي السلوكي، حيث كانت تُدرّس الفقه والتفسير والحديث والنحو والبلاغة والمنطق، إلى جانب التربية الروحية القائمة على الذكر والخلوة والمراقبة.[14]

ولعل أول زاوية تأسست في القطر الليبي لتحفيظ القرآن وتدريس علوم الشريعة والفقه المالكي خصوصًا –بحسب المصادر– هي المدرسة المستنصرية التي أسسها العالم عبد الحميد بن أبي الدنيا سنة 656هـ، حيث وصفت بأنها "أقدم مدرسة مالكية في شمال إفريقيا"[15]

ومن أبرز الزوايا التي أثرت في التعليم الديني الليبي "زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر" في زليتن، التي كانت تُعد منارة علمية وروحية، و"زاوية الشيخ أحمد زروق" في مصراتة، التي جمعت بين الفقه والسلوك، وزاوية أبي راوي بتاجوراء التي أسسها القائد العثماني مراد آغا، وتولى تجديدها الشيخ محمد أبو راوي الدوفاني ودرّس فيها طويلًا حتى عرفت باسمه، و"زاوية سيدي أبو حميدة" في طرابلس، التي كانت مركزًا لتدريس العلوم الشرعية، و"زاوية سيدي عبد الله" في غدامس، التي امتزج فيها التعليم الديني بالثقافة المحلية.[16]

---

14 محمد عمر بشينة– عادل عمر كريم، "الزوايا الدينة في ليبيا: نشأتها وتطورها"، الجامعة الأسمرية، مجلة أصول الدين، المجلد السابع، العدد الأزل، يونيو 2023م، صـ 67.

15 روبار برنشفيك، ترجمة: حمادي الساحلي، "تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي"، ج2، صـ304.

16 الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 3، 2004م، صـ 52–54.

كان الطالب يُقيم في الزاوية إقامة كاملة، يتلقى العلم ويشارك في حلقات الذكر، ويخضع لتربية روحية صارمة، وكان الشيخ يمنح "الإجازة العلمية" بعد اختبار الطالب في الكتب التي درسها، مثل "مختصر خليل"، و"الرسالة"، و"الشفا"، و"الآجرومية"، و"المنطق"، و"السنوسية"، وغيرها من المتون المعتمدة،[17] كما درس في هذه الزوايا وتخرج فيها محفِّظون وعلماء حملوا رايتي العلم والجهاد، مثل الشيخ الطاهر الزاوي، والشيخ عمر الميساوي، والشيخ منصور أبو زبيدة، والشيخ محمد المدني، الذين تلقوا فيها تعليمهم أو علّموا فيها، ثم تولوا مناصب دينية وسياسية، وكان لهم إسهامٌ في النهضة العلمية والجهادية.[18]

تُموّل الزوايا من الأوقاف، حيث كانت تُخصص أراضٍ ومزارع وممتلكات لدعم الزاوية، وتوفير الطعام والكساء للطلاب والمعلمين؛ مما جعلها مؤسسات مستقلة ماليًا، قادرة على الاستمرار واتخاذ المواقف دون تدخل الدولة، وقد أُنشئت سجلات وقفية خاصة بكل زاوية، تُحدد فيها شروط الوقف، وأسماء المستفيدين، ونظام التعليم؛ مما يُظهر التنظيم الإداري الدقيق الذي كانت تتمتع به الزوايا.[19]

كانت الزوايا تُسهم أيضًا في نشر اللغة العربية، ومقاومة الاستعمار الثقافي، وحفظ الهوية الإسلامية، وقد لعبت دورًا مهمًا في مواجهة الاحتلال الإيطالي، حيث كانت تُدرّس الجهاد، وتُعبّئ الطلاب روحيًا، وتُدرّبهم على الصبر والتضحية، كما تحولت بعض الزوايا إلى مراكز للمقاومة،

17 محمد عياد صالح، "الدور التربوي لزوايا الحركة السنوسية في ليبيا من سنة 1843م حتى 1969م"، جامعة طنطا، كلية التربية، عدد 58، أبريل 2015م، صـ 544.

18 مصطفى سعد الهاين، "أثر العامل الديني في الجهاد الليبي"، مركز جهاد الليبيين، 1980، صـ 29.

19 محمد عمر بشينة– عادل عمر كريم، "الزوايا الدينة في ليبيا: نشأتها وتطورها"، صـ 77.

مثل زاوية الجغبوب التي كانت مقرًا للحركة السنوسية، وزاوية الكفرة التي كانت مركزًا لتدريب المجاهدين.[20]

وقد خرّجت الزوايا طلابًا تولوا مناصب في الدولة، مثل القضاء والإفتاء والتدريس والإمامة، وكان من المعتاد أن يُعيّن خريج الزاوية إمامًا في مسجد، أو مدرسًا في معهد ديني، أو قاضيًا في محكمة شرعية، وهذا يشير إلى أن الزوايا كانت تُعد نخبًا دينية وإدارية مؤهلة،[21] ومن الأمثلة البارزة على ذلك: الشيخ عمر المختار، الذي تلقى تعليمه في زاوية الجغبوب، وتربّى على الفقه والحديث والتفسير، ثم أصبح مدرسًا في الزاوية، قبل أن يتحول إلى قائد للمجاهدين، وكان يُدرّس طلابه معاني الجهاد، ويُربّيهم على حب الوطن، والاستعداد للتضحية؛ مما جعل الزوايا مدارس للجهاد بقدر ما كانت مدارس للعلم.[22]

لم يقتصر دور الزوايا على تأهيل الطلبة للوظائف الدينية فحسب؛ بل كان يوم الخميس أشبه باليوم المفتوح للتدرب على إتقان بعض الحرف والصناعات، كصناعة البارود والحدادة والنجارة، وكذلك تكوين المحاربين وتعليم الفروسية[23].

كانت الزوايا تُنظم حلقات علمية أسبوعية، يُشارك فيها الطلاب والمشايخ، وتُناقش فيها مسائل فقهية وعقدية، وقد كانت هذه الحلقات تُسهم في تنمية التفكير النقدي، وتعزيز الحوار العلمي، كما

---

20 عبد الحميد عبد الله الهرامة، "ملامح التعليم في الزوايا والكتاتيب الليبية"، الندوة العلمية الرابعة: الكتاتيب والزوايا وأعلام تحفيظ القرآن الكريم، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ط1، 2009م، صـ 22.

21 وهبي البوري، "مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين"، منشورات مجلس الثقافة، 2006، صـ 64.

22 محمد عياد صالح، "الدور التربوي لزوايا الحركة السنوسية في ليبيا من سنة 1843م حتى 1969م"، صـ 557.

23 محمد فؤاد شكري، "السنوسية: دين ودولة"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، صـ 123.

أُسّست تقاليد علمية راسخة في الزوايا، مثل احترام الرأي الآخر، والرجوع إلى المصادر، والتدرج في الفهم، مما جعلها بيئة علمية خصبة،[24] وامتدت الزوايا إلى مناطق نائية، مثل واحات فزان، وغدامس، ومرزق، وأوباري، حيث بلغت خمس عشرة زاوية، كانت تُعد المصدر الوحيد للتعليم الديني، وكانت تُدرّس فيها العلوم الشرعية، ويُربّى فيها النشء على الأخلاق الإسلامية، وكان لها دور كبير في نشر الإسلام في المناطق الصحراوية، وتثبيت الهوية الدينية في وجه التأثيرات الأجنبية.[25]

ومن تلك الزوايا التي كانت مطمحًا لطلاب العلم ومعسكرًا للمجاهدين: زاوية أبي ماضي، تلك الزاوية التي أسسها الشيخ المربي عبد النبي الأصفر بمنطقة ككلة بجبل نفوسة، في القرن الثامن الهجري، وهذه الزاوية لم تلقَ حظها وما تستحقه من ذكر وشهرة؛ مع أنها كانت يطلق عليها: "الأزهر الصغير"؛ لشهرتها وكثرة تلاميذها وشيوخها، واستمرارها زهاء سبعة قرون من الزمان، حتى عام 1910م، وقد كثر روادها وقاصدوها لحفظ القرآن الكريم وتلقي العلم؛ إضافة إلى الأدوار الاجتماعية والجهادية الأخرى التي قامت بها[26].

24 زكية يحياوي، "الزوايا ودورها في التربية الروحية والتعليمية وبناء الشخصية الإسلامية"، مجلة الدراسات الإفريقية بالجزائر، العدد 12، 2015م، صـ 164- 165.

25 أبو بكر سالم الشيباني، الزوايا السنوسية في فزان ودورها الدعوي والاجتماعي والاقتصادي والجهادي"، صـ 134- 136.

26 النموذج التربوي الأخلاقي للزوايا العلمية الليبية "تجربة الماضي وإمكانية توظيف تقنيات العصر" د. علي محمد رحومة، مجلة أصول الدين، المجلد السابع، العدد الأول، يونيو 2023م، صـ 587.

المبحث الثالث: التحولات الحديثة في التعليم الديني: من التقليد إلى التنظيم المؤسسي

مع مطلع القرن العشرين، بدأ التعليم الديني في ليبيا يشهد تحولات عميقة، حيث انتقل من صورته التقليدية في الكتاتيب والزوايا إلى نمط أكثر تنظيمًا، تمثَّل في إنشاء المعاهد الدينية والمدارس النظامية، التي جمعت بين التعليم الشرعي والمناهج الحديثة، وقد جاءت هذه التحولات نتيجة لتغيرات سياسية واجتماعية، أبرزها انهيار الدولة العثمانية، وظهور الحركات الإصلاحية، والاحتكاك بالأنظمة التعليمية في المشرق العربي.[27]

أنشأت الدولة الليبية بعد الاستقلال عددًا من المعاهد الدينية، مثل "معهد الدعوة الإسلامية" في طرابلس، و"معهد أحمد زروق" في مصراتة، و"معهد عبد السلام الأسمر" في زليتن، وهي مؤسسات جمعت بين التعليم الشرعي والمناهج الأكاديمية، وبدأت تُخضع الطلاب لاختبارات رسمية، وتمنحهم شهادات معترفًا بها؛ مما أتاح لهم فرصًا للتوظيف في مؤسسات الدولة، أو لمواصلة الدراسات العليا داخل ليبيا وخارجها[28].

لكن هذه النهضة لم تدم طويلًا؛ إذ شهد التعليم الديني تهميشًا ممنهجًا خلال عهد القذافي، الذي تبنّى سياسةً عدائية صارمة تجاه المؤسسات الدينية؛ فتم إغلاق الجامعة السنوسية في البيضاء، وهي التي كانت تُعد منارة علمية وروحية من بركات الحركة السنوسية، كما أُغلقت العديد من الزوايا والمنارات الشرعية، وتمت مصادرة مكتباتها؛ بل أُحرقت كتب دينية في بعض المناطق،

27 نيكولاي بروشين، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، "تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م"، صـ 112.

28 سالم محمد مرشان، "التعليم الديني في ليبيا بين الماضي والحاضر وآفاق المستقبل"، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية، العدد 2، 2017، صـ 425.

خاصة تلك التي تُدرّس الفقه المالكي أو التراث السنوسي، وكان هو ولجانه الثورية يطلقون عليها: "الكتب الصفراء"! وقد أحرقت مكتبة الجامعة السنوسية كاملة.[29]

لم تقف الحرب للتعليم الديني –مؤسساته ومناهجه– عند هذا الحد؛ فقد أُلغيت مناهج شرعية من المدارس، وأُدمجت في مواد عامة، وتم تقليص عدد الحصص الدينية، كما مُنع تدريس بعض المتون الفقهية، مثل "مختصر خليل" و"الرسالة"، وتم استبدالها بمقررات ذات طابع سياسي أو فلسفي، مما أدى إلى تفريغ التعليم الديني من محتواه، وإضعاف مكانته في المجتمع.

هذا الأمر ألقى بظلاله على علمية المجتمع وديانته؛ فنشأ عن هذا التهميش محاولة استجلاب مناهج دينية متطرفة من خارج البلاد، خاصة من بعض التيارات التي لا تنتمي إلى المذهب المالكي، ولا إلى الوسطية الليبية، مما أدى إلى اضطراب في المرجعيات، وظهور تيارات متشددة أو سطحية، أثّرت سلبًا على الهوية الدينية الوطنية، وأحدثت شرخًا في البناء المعرفي للطالب الليبي.

وبعد انتصار ثورة فبراير 2011م عادت العناية بالتعليم الديني، وبدأت مؤسسات وطنية تُعيد الاعتبار لهذا التعليم، وعلى رأسها **دار الإفتاء الليبية**، التي تأسست رسميًا عام 2012، برئاسة فضيلة الشيخ الصادق الغرياني، وقد تبنّت الدار مشروعًا شاملًا لإحياء التعليم الديني، من خلال إصدار الفتاوى، وتنظيم الدورات، وتدريب المعلمين، ونشر الكتب، ومواجهة التيارات الفكرية الدخيلة[30].

29 أحمد مصباح اسحيم، "حياة الكتاتيب وأدبيات التعليم الديني في ليبيا"، صـ 339.

30 أنشئت دار الإفتاء الليبية بقانون من المجلس الوطني الانتقالي رقم 15 لسنة 2012م.

ومن أبرز إنجازات دار الإفتاء في هذا الإطار: تأسيس **كلية العلوم الشرعية والإفتاء**، التي تُعد امتدادًا علميًا لمشروع الإحياء، ومقرّها بطرابلس، تُدرّس فيها علوم الفقه وأصوله والتفسير والحديث والمقاصد وصناعة الفتوى وتاريخ المذاهب، وتُعتمد فيها مناهج أصيلة، قائمة على المذهب المالكي، مع انفتاح على المقارنة الفقهية، وقد خرّجت الكلية عددًا من الطلاب الذين تولوا وظائفَ في البحث الشرعي والإفتاء والتعليم.

كما أُنشئت –تحت عباءة الكلية– مدارس علمية تُعنى بالتعليم الديني، وهي: **مدارس الإمام مالك للتعليم الشرعي**، التي انتشرت في غريان ومناطق في طرابلس والزاوية وصبراتة، وقد تبنّت هذه المدارس –كما هو الحال في مدارس التعليم الديني التي دبّت فيها الحياة بعد الثورة أيضا– منهجًا يقوم على تعليم القرآن، والفقه المالكي، والسيرة، واللغة العربية، واستقطبت عددًا كبيرًا من الطلاب، خاصة في ظل ضعف التعليم الرسمي، ويأتي هذا المنهج الشامل المتدرج؛ أملًا في إعادة بناء الهوية الدينية الوسطية.

واجهت هذه المؤسسات تحديات كبيرة، أبرزها ضعف التمويل، وغياب الدعم الرسمي، ومحاولات التشويش من بعض التيارات الفكرية؛ لكن إصرار العلماء والمربين، وتفاعل المجتمع، كان رافدًا من روافد استمرار هذه المشاريع، بل وتوسعها، حيث أُنشئت فروع جديدة، وأُطلقت منصات إلكترونية، وأُقيمت مؤتمرات علمية، مما يُظهر حيوية التعليم الديني في ليبيا رغم الصعوبات، هذا بالتوازي مع جهود إدارة التعليم الديني بوزارة التربية والتعليم –رغم ضعف الجهود وقلة الإمكانيات!

الخاتمة

بعد استعراض مراحل التعليم الديني في ليبيا، من الكتاتيب والزوايا إلى المعاهد والكليات الحديثة، يتضح أن هذه المنظومة لم تكن يومًا مجرد وسيلة لتلقين النصوص؛ بل كانت مشروعًا حضاريًا متكاملًا، أسهم في بناء الإنسان الليبي، وتشكيل وعيه، وتوجيهه نحو الوسطية والاعتدال، وقد أثبتت التجربة الليبية أن التعليم الديني، حين يُدار برؤية علمية ومنهجية؛ يُمكن أن يكون ركيزة للأمن القومي، ورافعة للنهضة الفكرية والاجتماعية.

أبرز النتائج:

1. الكتاتيب والزوايا شكلت النواة الأولى للتعليم الديني، وأسهمت في تخريج علماء ومجاهدين وقادة اجتماعيين.
2. التعليم الديني في ليبيا ارتبط بالفقه المالكي وأثر العلم على السلوك؛ مما منح المجتمع الليبي هوية دينية وسطية متماسكة.
3. النظام السابق همّش التعليم الديني، وأغلق مؤسساته؛ مما أحدث اضطرابًا في المرجعية الدينية، وأدى إلى استيراد مناهج دخيلة.
4. دار الإفتاء الليبية وكلية العلوم الشرعية والإفتاء ومدارس الإمام مالك تمثل اليوم جهودًا وطنية لإحياء التعليم الديني الأصيل.
5. التعليم الديني يُعد عنصرًا رئيسًا في تعزيز الأمن القومي، ومواجهة التطرف، وحماية الهوية الوطنية.

أهم التوصيات:

1. دعم مؤسسات التعليم الديني رسميًا وماليًا، وتوفير البنية التحتية اللازمة لتطويرها.
2. توحيد المناهج الشرعية في ليبيا، وربطها بالمرجعية المالكية الوسطية، مع الانفتاح المنضبط على المقارنة الفقهية.

3. تعزيز دور المؤسسات الرسمية في الإشراف الأكاديمي على التعليم الديني، وتطوير برامج إعداد المعلمين.

4. إنشاء هيئة وطنية مستقلة للتعليم الديني، تُشرف على المعاهد والمدارس والكليات، وتضمن جودة المخرجات.

5. مواجهة التيارات الفكرية الدخيلة؛ عبر برامج توعية، ومناهج تربوية، وتعاون مؤسسي بين الجهات الدينية والتعليمية.